المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

العاطفة والوجدان في شعر ثابت فرج الجرجاوي

Emotion and conscience in the poetry of Thabet Faraj Al-Gergawi

بقلم الدكتور

أحمد لطفي السيد أحمد

المدرس بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية

العدد الأول

العاطفة والوجدان في شعر ثابت فرج الجرجاوي

أحمد لطفي السيد أحمد

قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر الشريف- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : lotfy@yahoo.com

الملخص

فالعاطفة عنصر من أهم عناصر العمل الأدبي، ولها دور عظيم في العمل الشعري، وهي التي تضفي عليه صفة البقاء، والذيوع، والانتشار، وهي – كذلك – مهمة جدًّا للأديب، والقارئ، وللنتاج الأدبي على السواء، فهي للأديب مبعث لخواطره، وشاحذ لإنتاجه، وهي للقارئ أوتار حسَّاسة يجد في رنينها ونغماتها المعاني الحافزة، ومن هنا جاء البحث الذي قصدت من خلاله أن أبين ما للعاطفة والوجدان من أهمية في العمل الأدبي، وأنهما شرط لازم في جودة العمل الأدبي.

هذا وقد توصلت إلى العديد من النتائج، جاء من أهمها :

– أن العاطفة عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي، وأن الشعر بدون عاطفة لا يعد شعرًا، وإنما يكون كلمات متراصة لا تمثل إلا شيئًا جامدًا لا يحرك المشاعر،، ولا يثير الوجدان.

– كشفت الدراسة أن شعر الجرجاوي توفر – في معظمه – صدق العاطفة وقوتها، وقد ظهر هذا الصدق، وتلك القوة في شعره المتعلق بالدين والعقيدة، وما يتعلق بالقضايا المعاصرة للأمة الإسلامية.

– كما ظهر لنا من خلال الدراسة ثبات عاطفة الشاعر واستمرار سلطانها وعدم ذهاب حرارتها في أغلب شعره .

الكلمات المفتاحية: العاطفة، الوجدان، شعر ثابت فرج الجرجاوي .

Emotion and conscience in the poetry of Thabet Faraj Al-Gergawi

Ahmed Lotfi El-Sayed Ahmed
Department of Literature and Criticism at the Faculty of Arabic Language in Girga - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt
Email: lotfy@yahoo.com

Abstract:

The emotion is one of the most important elements of literary work, and has a great role in poetic work, which gives it the character of survival, popularity, and spread, and it is – as well – very important for the writer, the reader, and the literary product alike, it is for the writer a source of his thoughts, and sharpened for his production, and it is for the reader sensitive chords finds in its resonance and tones meanings Motivation, hence the research through which I intended to show the importance of emotion and conscience in literary work, and that they are a prerequisite for the quality of literary work.

This has reached many results, the most important of which are:

-that emotion is an important element of literary work, and that poetry without emotion is not considered poetry, but rather be compact words that represent only something rigid that does not move feelings, and does not arouse conscience.

-The study revealed that the poetry of Al-Gergawi provides – for the most part – the sincerity of passion and its strength, and this honesty has appeared, and that strength in his poetry related to religion and belief, and with regard to contemporary issues of the Islamic nation.

-It also appeared to us through the study the stability of the poet's emotion and the continuation of its authority and the non-going heat in most of his poetry.

Keywords: emotion, conscience, poetry of Thabet Faraj Al-Gerjawi.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمدًا لك فتحت للإنسان أبواب الهداية، وأرشدته إلى البحث والنظر، فوصل بثاقب فكره، وصائب رأيه إلى ما فيه خيره وسعادته، وصلاةً وسلامًا على سيدنا محمدٍ مهبط أسرارك ومطلعِ هدايتك وإرشادك.

أما بعد،،

فالعاطفة عنصر من أهم عناصر العمل الأدبي، ولها دور عظيم في العمل الشعري، وهي التي تضفي عليه صفة البقاء، والذيوع، والانتشار، وهي – كذلك – مهمة جدًّا للأديب، والقارئ، وللنتاج الأدبي على السواء، فهي " للأديب مبعث لخواطره، وشاحذ لإنتاجه، وهي للقارئ أوتار حسَّاسة يجد في رنينها ونغماتها المعاني الحافزة، وهي للإنتاج الأدبي كالشذى يعطر أرجاءه، أو كالماء العذب النمير تنبعث عنه الحياة " (١) .

وأما الوجدان فهو تعبير عن العواطف في مجالاتها المختلفة من فرح، وحزن ، وحب، وبغض وما إلى ذلك من المشاعر الإنسانية في شعر يرتكز على حسٍّ إنسانيٍّ راقٍ، وتصوير نفسي خالص.

ومن هنا جاء البحث الذي قصدت من خلاله أن أبين ما للعاطفة والوجدان من أهمية في العمل الأدبي، وأنهما شرط لازم في جودة العمل الأدبي.

أما عن الدراسات السابقة فلم أجد – فيما أعلم –دراسات حول الشاعر/ثابت فرج الجرجاوي سوي دراستين اثنتين فقط ، وهما :

١–شعر ثابت فرج الجرجاوي " دراسة موضوعية فنية " للباحث/أحمد عبداللطيف أحمد عبدالرازق –رسالة ماجستير – كلية اللغة العربية بأسيوط – جامعة الأزهر الشريف عام١٤٣٨ه–٢٠١٦م .

---

(١) في النقد الأدبي د / عبد العزيز عتيق: ١٠٦ – طبعة دار النهضة العربية، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .

٢- الصورة البيانية في شعر ثابت فرج الجرجاوي للباحث/جابر فؤاد عبدالغني عبدالرازق – رسالة ماجستير – كلية الآداب –جامعة جنوب الوادي عام ٢٠٢١م .

وقد جاء البحث بعد هذه المقدمة في تمهيد ومبحثين:

أما التمهيد فتحدثتُ فيه عن: التعريف بالشاعر ثابت فرج الجرجاوي، وعن أهمية العاطفة والوجدان في العمل الأدبي.

وأما المبحث الأول فجعلتُ عنوانه: العاطفة، ويشمل:

١- صدق العاطفة وقوتها.

٢ – ثبات العاطفة واستمرارها .

٣ – تنوع العاطفة .

٤- سمو العاطفة .

وأما المبحث الثاني فجعلتُ عنوانه: الوجدان، ويشمل:

١- ارتباط الوجدان بين الماضي والحاضر .

٢- امتداد مظاهر الوجدان .

٣- الوجدان بين المثير الطبيعي والصناعي.

ثم أنهيت الدراسة بخاتمة أودعتها أهم نتائج البحث، وأتبعت الخاتمة بفهرس المصادر والمراجع .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل مقبولاً، فإن أكن قد وفقت فذلك فضل من الله، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني اجتهدت، وأخلصت العمل، والنية، ويبقى الكمال لله وحده .

الباحث

تمهيد

التعريف بالشاعر ثابت فرج الجرجاوي

هو ثابت بن فرج بن عبد الرؤوف بن علي الجرجاوي، أديب، من أهل جرجا بصعيد مصر، تخرج بالأزهر، وعمل في التدريس الديني، وترأس بعض الجمعيات، وشارك في الحركة الوطنية بمصر (سنة ١٩١٩م)، واعتقل ونفي إلى مالطة [١]، نشأ الشاعر في أحضان أسرة عُرفت بعراقة النسب؛ حيث ترجع أصول تلك الأسرة إلى اليمن، فقد ذكر الشيخ أحمد الماجدي أن جد هذه الأسرة جاء من اليمن ونزل مدينة " هُوْ " [*]، ثم نزح إلى جرجا، وتعرف هذه العائلة في جرجا ببيت (عبد الرؤوف)، ولكن الاسم المشهور هو (بيت نصر) [٢]، وهي بيت علم كان لها صيت كبير في تمسك أفرادها بتعاليم الدين الإسلامي وقيمه، ونشر تعاليمه السمحة في سلسلة متصلة الحلقات، من الأجداد إلى الأحفاد، فقد كان والد الشيخ ثابت فرج الجرجاوي من المتفقهين في الدين ومحفظًا لكتاب الله [٣].

---

(١) انظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. تأليف خير الدين الزركلي: ٩٨/٢ – دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشرة مايو ٢٠٠٢ م، وانظر: أضواء الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد المسمى تعطير النواحي والأرجاء بذكر من اشتهر من أعيان جرجا – تأليف: محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي – تحقيق ودراسة د / أحمد حسين النمكي : ٩١/٢ – مكتبة الرياح بجرجا – شارع بركات سنة ٢٠٠٣ م .

(*) هو: بالضم ثم السكون على حرفين هو الحمراء بلدية أزلية على تل بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص. ينظر: معجم البلدان للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: ٤٢٠/٥ – دار صادر بيروت – سنة ١٩٩٥ م .

(٢) مجلة صوت الأزهر – ثابت فرج الجرجاوي حياته وشعره د / أحمد النمكي: ٤٢٧ – عدد ربيع سنة ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

(٣) أضواء الطالع السعيد: ٩١/٢ .

أهمية العاطفة والوجدان في العمل الأدبي:

تُعد العاطفة أحد العناصر والأركان المهمة في العمل الأدبي؛ لأنها تنبع من وجدان الأديب، ووجودهما – العاطفة والوجدان – في كل عمل أدبي شرط لازم لا يُختَلف عليه، ولذلك فالنص الجامد الذي لا يحرك المشاعر، ولا يثير الوجدان يبعث في نفس المتلقي الملل، ويجعله ينسى ما قرأه بعد وقت قصير، لأنه لم يترك فيه أثرًا، ولم يحرك شيئًا في داخله، لأن تحريك المشاعر في نفس القارئ سواء أكانت مشاعر فرح، أو حزن، أو حتى خوف، أو فكاهة ستجعله يتذكر ما قرأه، ويتفاعل مع النص بشكل أفضل.

فالعاطفة هي " الوجدان الدائم، والشعور الملازم، والإحساس الذي يتمكن من قلب صاحبه تمكُّن النازل المقيم، والطارق الذي لا يغادر الرَّحل، ولا يفارق الدار، دون أن يكون من الأشياء الطارئة، أو الأمور المكذوبة على النفس، أو المفتعلة على الوجدان، أو المجتلبة من غير داخل الشاعر أو الكاتب " [١] .

ومن هنا كان الأدب سجلاً للعواطف الإنسانية، ولأدق مشاعر الشاعر وخواطره، وانفعالاته الوجدانية التي يستطيع من خلالها أن ينقل إلى القارئ ما يعتلج بداخله من مشاعر، وأحاسيس، وحالات وجدانية على اختلاف أنواعها .

---

(١) في محيط النقد الأدبي د / إبراهيم على أبو الخشب: ٩٧ – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .

المبحث الأول

العاطفة

وهي وليدة التجربة الشعرية، وتعد من عناصر التشكيل الأدبي، وهي " تلك القوة النفسية التي تثيرها مؤثرات وميول خارجية مختلفة، فتظهر في صورة انفعالات شتى، كالحب، والبغض، والسرور، والحزن، والرجاء، والخوف، والوفاء، وهي بهذا من دواعي الشعر الذي تُهيِّجُهُ، وينابيعه التي ينبجس منها"(١).

والعاطفة عنصر كبير من عناصر النص الأدبي وهي التي تميزه عن النص العلمي، وتجعله شيئًا جذَّابًا، على الرغم من تكراره، وإعادة تلاوته، والأدب سجل للعواطف الإنسانية، ولأدق مشاعر الأديب وخواطره، والأديب الموفق هو الذي ينقل القارئ إلى جوه الفني، كما أن العاطفة هي التي تفتح منافذ الحياة، والكون، والروح أمام الإنسان (٢) .

ومن خلال ذلك فإن قيمة " العمل الأدبي تكمن في قدرته على إثارة المشاعر، والأحاسيس لدى المتلقي، وهذا هو سر اهتمام النقاد بدراسة الجانب النفسي في التجربة الشعرية، والمتمثل في العواطف، فهي عندهم أهم عناصر التجربة الشعرية، لأنها تكشف عن حقيقة الصور الشعرية التي من خلالها يتبين هل صدر هذا الشعر عن انفعال حقيقي، أو افتعال وتزييف؟ " (٣).

---

(١) النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري د/ محمد طاهر درويش: ٢١٩ – طبعة دار المعارف – القاهرة ١٩٧٩ م.

(٢) النقد العربي الحديث ومذاهبه د / محمد عبد المنعم خفاجي: ٤٠ – بتصرف – طبعة مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٩٧٥ م .

(٣) العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشعر – بحث للدكتور/ حسن أبو المجد محمد – منشور في مجلة كلية اللغة العربية بجرجا ص ٣٣٧ – العدد التاسع ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

ويمكن إجمال أهم وأبرز سمات العاطفة عند ثابت فرج الجرجاوي من خلال الأمور الآتية:

١- صدق العاطفة وقوتها:

المقصود بصدق العاطفة أن تنبعث من أسباب صحيحة غير زائفة، ولا مصطنعة، حتى تكون عميقة، تهب الأدب قيمة خالدة [١].

وصدق العاطفة من المقاييس المهمة في العمل الشعري، والذي يكسبه الخلود، والذيوع، والقبول لدى المتلقين، ويجعلهم متعاطفين مع الشاعر، يحسون بمثل ما يحس به، فما خرج من القلب وقع في القلب، وصدق الشاعر مع نفسه أولاً يجذب إليه القارئ والسامع.

والعاطفة الصادقة من سمات الشعر الجيد؛ لأن الشعر الجيد في حقيقته ما هو إلا تعبير عن العواطف التي تجيش بها نفس الشاعر، فإذا كان هناك دافع أصيل اختمر في عقل الشاعر، وهاج انفعالاته، جاء هذا الأدب مؤثرًا، وبعث في نفس القراء عواطف كالتي في نفس الأديب، وأما إذا كان الباعث تافهًا أو خدَّاعًا زائفًا كان الأدب سطحيًّا لا أثر له يبقى [٢] .

وأما قوة العاطفة فتُعدُّ – كما يقول د/ أحمد الشايب –" من أهم المقاييس النقدية إن لم تكن أهمها جميعًا، ولكن هذا المقياس يذكر في الترتيب الطبعي بعد سابقه، فإذا استوثقنا من صدق العاطفة سألنا القارئ: هل أثار النص الأدبي شعورك؟ وهل بعث فيك شعورًا حيًّا وقويًّا؟ وهل أيقظ نفسك وأنعشها؟ وهل أوسع نظرك وأحيا قلبك؟ أو – كما يقال – هل أعطاك عينًا جيدة ترى بها وقلبًا جديدًا تحس به؟ إذا كان ذلك متوافرًا كان النص أدبًا قويًا، وكلما تقدم الأدب في هذا

---

(١) أصول النقد الأدبي تأليف د/ أحمد الشايب: ١٩٠ – طبعة مكتبة النهضة المصرية – القاهرة – الطبعة العاشرة ٢٠٠٤ م.

(٢) أصول النقد الأدبي: ١٩١ بتصرف .

السبيل كان أقرب إلى الكمال " [1] .

ويظهر صدق العاطفة واضحًا جليًّا في شعر الشيخ ثابت فرج الجرجاوي الذي يصف فيه حال المسلمين وتشتتهم، وما هم عليه من تفرق الكلمة، وفي شعر الرثاء، وشعر الشكوى والغربة والحنين إلى الوطن، وكذلك في شعره عن الحمى التي أصابته، وأصابت زملاءه، ومن الشواهد الدالة على صدق العاطفة وقوتها قوله في رثاء صديق له في " مالطة " اسمه شوقي [2]: (من الكامل)

بينَ الجَوانِح جَذوةٌ لا تنطفِي ∴ مُذْ غابَ عنَّا طيبَ الذِّكر النجيب

شوقي صديقي ما تمتَّعَ بالمنى ∴ حتى تسابَقَ نحْوَ خَالقِه القريب

تركَ المحاجرَ ديمةً منهلةً ∴ تمسي وتُصبح بين أصواتِ النحيب

فلنعيه لم يبقَ شخصٌ مُفكِرٌ ∴ إلا وأذهلَ عقلهُ النبأ الغريب

الموتُ يلتقطُ النوابِغَ بغتةً ∴ ويُصادِفُ البلهاءَ في وقتٍ المَشِيب

فإذا بكيتُ فإنما أبكي الوَفَا ∴ واللطفَ والإحساس والصدر الرحيب

ففي هذه المقطوعة يظهر لنا صدق العاطفة في وضوح وجلاء تامَّيْن، حيث لهيب الحزن على صديقه الفقيد الذي تركه حزينًا يتلظى بلهيب الحزن مُخلِّفًا له الدموع صباح مساء، كما تظهر لنا مشاعر الشاعر الملتاعة في لحظة من أندر اللحظات، وأخصبها بالانفعالات النفسية؛ هي لحظات الموت والنهاية التي أذهلت عقول من سمع نبأ موت صديقه الذي يبكي فيه الوفاء والإحساس والصفات الحميدة.

---

(١) أصول النقد الأدبي: ١٩٣ .

(٢) ديوان ثابت " في سبيل الوطن وحماته " لمؤلفه الأستاذ الشيخ/ ثابت فرج الجرجاوي ص ٤٩ – ٥٠– مطبعة الهواري بشارع محمد علي.

ولنأخذ نموذجًا آخر نرى من خلاله صدق العاطفة عند الشيخ ثابت، وفيه يقول معترفًا، خاشعًا، متذللاً، يُظهر فيه مدى ضعفه، وافتقاره لعفو ربه وعطائه ومغفرته [١]: (من مجزوء الوافر)

ترقب ليلة القدر ∴ وأنت بكامل الطهر

وقُل يا كاشف الضُّرِّ ∴ أريد العفوَ فاغفر لي

فأنت الواحد الأحد ∴ وأنت الفرد والصمد

وأنتَ الملجأُ السندُ ∴ مُقدِّرُ منتهَى أجلي

وإني المذنبُ الجاني ∴ وزاد السُّوءُ شيطاني

وجئت الآن معترفًا ∴ بما قد كنت مقترفًا

تَبدَّى الشَّيْبُ في الرأس ∴ نذير السير للرَّمْسِ [٢]

فقم يا صاحِ في الغسق ∴ وَيَمِمْ قبلة الأفق [٣]

وناجي مُرسِلَ الشفق ∴ بقلب مخلص وجل [٤]

وهذِي ليلة سَمَحَتْ ∴ بنيل الوصل وابتسمت

بها الرحمات قد نزلت ∴ وصارت مضرب المثل

---

(١) ديوان ثابت في سبيل الوطن وحماته ص ٧٣ – ٧٤ – ٧٥ .

(٢) الرمس: القبر والجمع أرماس ورُمُوس. انظر: لسان العرب لابن منظور – مادة رمس: ٤١٣/٥ – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٣) غسق الليل: أول ظلمته . اللسان مادة غسق: ٦٩/١٠ .

(٤) الشفق: النهار – وقال الخليل: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة. اللسان، مادة: شفق ١٥٤/٧ .

فهذا النموذج يوضح مدى ما يمكن أن يصل إليه النص الشعري من الصدق، وقوة العاطفة لما فيه من تذلل، وتضرع، وخضوع، وحسن الظن بالله الواحد الأحد الفرد الصمد في كشف الضر، تذللٌ وتضرعٌ ينبعثان من ذات ووجدان الشاعر المثقل بالذنوب، المعترف بها بعد أن خطَّ الشيب رأسه مما ينذر بدنو أجله بعد أن أصابه الضعف والوهن، كل ذلك يُنبِئُ بصدق عاطفته في هذا المقام الجليل الذي يتوسل فيه إلى ربه بكل جوارحه في هذه الليلة المباركة التي تتنزل فيها الرحمات.

ولعل قوة العاطفة وروعتها من أهم المقاييس النقدية – إن لم تكن أهمها جميعًا – إلا أن مقياس القوة يذكر في الترتيب الطبعي بعد مقياس الصدق .

وقد شاع هذا الصدق وتلك القوة في شعر ثابت الجرجاوي على صعيد العاطفة في كثير من أشعاره، ومثل تيارًا نفسيًّا عاطفيًّا في كافة المناحي والتوجهات، سواء منها ما يتعلق بالدين والعقيدة، أو ما يتعلق بالقضايا المعاصرة للأمة الإسلامية في شتى الاتجاهات والأحوال.

ومن هذه الشواهد قوله واصفًا الجيش العثماني والمصري بعدما أنزلت إيطاليا جنودها بطرابلس الغرب واحتلتها [1]: (من الكامل)

هذا ولما أن تحفز جيشنا ∴ ألقى عِدانا للوحوش طعاما
أسر الدعاة ومن تجسَّسَ خفية ∴ وكسى بقاع الملتقى أجساما
غنم المدافع والذخيرة والغذا ∴ وأزاح عن أفق الجهاد غماما
زعموا قتال العرب نزهة سائح ∴ وفكاهة وملذة ومُدَاما
جهلوا الحقيقة سُفِّهَت أحلامهم ∴ في الترب أرغم أنفهم إرغاما
خاروا العزيمة والحمية والدهى ∴ ورأوا من الهول المخيف زؤاما

(١) ديوان ثابت الثاني للشيخ ثابت فرج الجرجاوي ص ٨ – ٩ – مطبعة الأمة جهة قسم الدرب الأحمر بمصر.

نرجوكمو لا تبرحـــوا فقتـــالكم ∴ أضحى لغربـــان الخيـــام غرامـــا

يا شرق إن الغرب أصبح ملعبًا ∴ يـــدني لخـــوان العهـــود مرامـــا

في أي حرب للأعـــادي نصـــرة ∴ كانـــت ؟ ورودًا للحِمـــى أعلامـــا

أنبت يـــا مصـــر نباتًـــا طيبًـــا ∴ وفـــي حقوقًـــا للجـــوار تمامـــا

في الأبيات السابقة تظهر بوضوح قوة العاطفة عنـــد الشـــاعر؛ إذ عبـــرت الأبيات عن تجربة شعرية حقيقية، فهو يستحث الجيش أن يقاتل أشـــد المقاتلـــة ليزود عن الوطن، ويخاطب المسلمين في كل مكان أن يتجمعوا، وأن يعلمـــوا أن مؤذن الاتحاد ناداهم ليرجعوا مجدهم المفرق، وأن يحاسبوا الدول الغربية علـــى هذا التعدي على أوطانهم، ولذلك انطلق قلبه قبل لسانه بهذه الأبيات التي تحفـــز الجيش لمواجهة المحتل – الذي توهم أن حربه مع العرب نزهة – وكسر شوكته، وقمعه، وهزيمته.

وبهذا يجمع شاعرنا بين الصدق والقوة في عاطفته الإبداعية، إذ كلما كانت عاطفة الأديب صادقة وقوية، كان أدبه حيًّا ومؤثرًا.

٢- ثبات العاطفة واستمرارها:

ثبات العاطفة سمة من أهم سمات العمل الفنـــي، ويـــراد بثبـــات العاطفـــة " استمرار سلطانها على نفس المنشئ، ما دام يشعر، أو يكتب، أو يخطب لتبقـــى القوة شائعة في فصول الأثر الأدبي كله لا تذهب حرارتها، وبهذا يشعر القـــارئ أو السامع ببقاء المستوى العاطفي على روعته مهما تختلف درجتـــه بـــاختلاف الفقرات والأبيات " [١]، والشاعر الجيد من يستطيع أن يجعل العاطفة في شـــعره ثابتة ومستمرة، إلا أن استمرار العاطفة في الملاحم والقصائد الطوال قـــد يبـــدو صعبًا جدًّا إذ " استمرار العاطفة صعب في الملاحم، والقصص، والقصائد المطولة،

(١) أصول النقد الأدبي د / أحمد الشايب ص ١٩٧ .

وإن كان ميسورًا في الشعر الغنائي، وفيما قَصُرَ من النصوص التي لا تجهد النفس، وتحبسها، طويلاً فتمل، أو تتخاذل " [١].

ولو طبقنا هذا المقياس على شعر الشيخ ثابت الجرجاوي لوجدناه ينتظم كثيرًا من شعره، فعاطفته مستمرة ثابتة، ونستشهد على ذلك بقصيدته التي مدح بها " سيد أفندي محمد " ناظر المدرسة التحضيرية، ورئيس جمعية النشأة الحديثة بمصر يقول [٢]: (من الوافر)

لك العلياء يا شهم الرجال ∴ تزف إليك في ثوب الجلال

مقلدةٌ عقود الأنس ترنو ∴ فيخجل ضوءها ضوء الهلال

لها تاج شروق الشمس منه ∴ وباطنه به غسق الليالي

وطرف ناعس بالنبل يرمي ∴ شديد البطش في شرك الجبال

ومن عجب إذا مرت بصحرا ∴ يعانقها الثنا مثل الغزال

وتعطي اللفظ للمشتاق حتى ∴ يُخيَّل للورى طرب الثمال [٣]

ولا لوم على الواشي أقول ∴ لفرقٍ بين ممتلك وخالِ

شراها الماهرُ الشبلُ الجليل ∴ بحسن السبك في نظم اللآلي

وفي يوم الزفاف لقد رأينا ∴ صنوف الفائقين على الجمال

لقد زفوا لك العليا ونادوا ∴ ليرقى " سيِّدٌ " أوج المعالي

ألا يا " سيدًا " اسمًا وأصلاً ∴ وينبوع المكارم والكمال

مَنَنْتَ على الورَى أنشأتَ روضًا ∴ به الأدباء تجني بابتهال

---

(١) أصول النقد الأدبي، د / أحمد الشايب ص ٢٠٠ .

(٢) ديوان ثابت الثاني ص ٤٦ – ٤٧ .

(٣) الثَّملُ: السكر . اللسان مادة ثمل: ١٢٩/٢ .

بـــإذن الله يثمـــر كـــل غصـــن ∴ ويصـــرعُ كـــل مغتـــرس الضـــلال

حلا لي مدحكم قاطعـت فكـري ∴ حـــلا لـــي مـــدحكم حقًّـــا جـــلال

رفعتُ إليكمـــو شـــكري وإنـــي ∴ مقصـــرُ يـــا حميـــدًا فـــي الخصـــال

تسربلت الفصاحة صـــرتَ فـــردًا ∴ يشـــار إليـــك فـــي الأمـــر العضـــال

لك القـــول النفـــيس بكـــل علـــم ∴ لـــك الـــرأي الســـديد بكـــل حـــال

وبيـــت للقصـــيد لقـــد بنيـــتم ∴ علـــى لفـــظ جميـــل الوضـــع عـــال

وما نظمـــي ومـــا نثـــري بـــآتٍ ∴ بمـــا أوتيـــتَ مـــن حُســـن الفعـــال

عبر الشاعر في القصيدة السابقة عن حبه لممدوحـــه، إذ اســـتهلَّ مدحتـــه بوسم ممدوحه بأنه ذو مقامٍ عالٍ زُفَّت إليه المكارم في ثوب من الجلال، ثم أخـــذ يُجسِّم لنا علياء ممدوحه بأنها: عقود لؤلؤ يشيه ضوءها ضوء الهلال، لها تـــاج، وطرف ناعس يرمي بنبله، شديد البطش، تعانقه غزلان الصحاري، ألفاظه منظمة منمقة كأنها لآلئ منظومة، كل ذلك قد تجسَّم وجُمِع في ممدوحه " سيد أفنـــدي "؛ كما أسبغ على ممدوحه جميع الصفات الحميدة، فهو ينبوع المكارم، طيب الأصل، سخيٌّ كريم، بحر زاخر، غصن مثمر يَصْرع كلَّ أغصان الضلال، قوله الفصل في المعضلات، رأيه سديد في الملمات، ثم ختم قصيدته بأنه مهما أضفى عليـــه مـــن الفضائل والمكارم، لا يستطيع أن يوفيه حقه في منظومة شـــعرية، أو مقطوعـــة نثرية؛ فالقصيدة من أولها إلى آخرها تمضي بعاطفة ثابتة في مدح " سيد أفنـــدي محمد " ووسمه بمكارم الأخلاق، وسعة العطاء، والريادة فـــي منـــاحي الفضـــل المختلفة .

٣- تنوع العاطفة:

يُعد تنوع العاطفة – في الشعر – سمة من أهم سماتها، وموهبة قلَّ أن تتوافر لشاعر، ولذلك فإن " أعظم الشعراء هم الذين يقدرون على إثارة العواطف المختلفة في نفوسنا بدرجة قوية كالحماسة، والحب، والإعجاب، والشفقة، والإجلال، وهي موهبة قلَّ أن تتوافر لشاعر، أو لكاتب، وإن كان ذلك لا يحول دون عظمته، وشهرته في باب واحد، أو بعض أبواب الأدب " (١).

وهذا التنوع يأتي من كثرة التجارب التي تجعل في استطاعة الأديب إذا تعرض لنوع من العاطفة أن يفتنّ في التعبير عنها، وأن يصرف القول فيها تبعًا لتنوع طبيعة الموضوعات التي ترتبط بها أيًّا كانت (٢).

ولهذا كان لابد للشاعر من أن يكون واسع الاطلاع، والمعرفة، قد خبر الحياة وعركها وعركته، وذاق حلوها ومرّها.

وبذلك يتضح أن تنوع العواطف عند النقاد العرب عمومًا من المقاييس والمقومات المهمة للموازنة بين الشعراء، والتفضيل بينهم، ذلك أنهم فضلوا الشاعر المتنوع الأغراض على الشاعر المحدودة أغراض شعره، فجعلوا هذا التنوع من أسس المفاضلة الشمولية والحية بينهم (٣).

وبالنظر إلى شعر الشيخ ثابت الجرجاوي نجد أن بعض شعره قد تنوعت فيه العاطفة، ومن هذه الأشعار قصيدته التي رثى فيها الشيخ " أبو أحمد خليفة الجرجاوي " حيث لم يجعل رثاءه غرضًا خالصًا في القصيدة بل قرن معه بعض الأغراض الأخرى، وامتد هذا التنوع العاطفي في عموم القصيدة التي وصل عدد

---

(١) أصول النقد الأدبي، د / أحمد الشايب ص ٢٠١ .

(٢) في النقد الأدبي، د / عبد العزيز عتيق ص ١١٣ – دار نهضة مصر – بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧٢ م .

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب – أ/ أحمد طه إبراهيم – ص ٦٥ – مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٧ م .

أبياتها إلى سبعة وخمسين بيتًا، نذكر له هنا أغلب أبيات القصيدة حتى نضع أيدينا على حقيقة ذلك، يقول [1]: (من الكامل)

دمع العيون من الشجون تحدَّرَا ∴ والقلب من ألم الفراق تفطَّرَا

وكذا الجبال الشامخات تدككت ∴ والبدر في فلك السماء تسترا

والجو في وجه البرية حالكٌ ∴ والصفو من بعد الهناء تكدَّرَا

والوُرْقُ فوق غصونها نوَّاحةٌ ∴ والطير في الأوكار ظلَّ محيَّرَا

والعلمُ يندب أهله ورجاله ∴ متأسفًا كره الدُّنا مما جرَا

لما غدا كهف الأنام مُيَمِّمًا ∴ سُوحَ الجنان ينال حظًّا أوفرَا

هو أحمد بن خليفة الجرجاوي مَنْ ∴ صدع الفؤاد فِراقه فتحسرَا

هو عالمٌ من عالم من فاضلٍ ∴ هو نخبة الفضلاء أصحاب السرَا

صبرًا فما فردٌ يعيشُ مُخلَّدًا ∴ بل كلنا نفنى وتَنْحَلُّ العُرَا

قد فارق اللذات من وقت الصِّبَا ∴ كملت سجاياه فأمَّ الأزهرَا

أخذ العلوم عن الثقاتِ الأتقيا ∴ العاملين بما رأوهُ مُقرَّرَا

نال القضاء فكان يحكم عادلاً ∴ متنزهًا أسمى المحامد قد شرَا

قد كنت تمدح للرسول وآله ∴ لا تبتغي نفعًا يعود من السَّرَا

قد كنت تعبد والخلائق نُوَّمٌ ∴ يتلذذون بليلهم سِنَةَ الكرَا

قد كنت معتكفًا لربك ساجدًا ∴ ومُسبِّحًا ومهللاً ومُكبِّرَا

يبكي عليك الدرسُ في أوقاته ∴ يبكي عليك الدينُ يا علمَ الورَا

(١) ديوان ثابت الثاني ص ٣٣ – ٣٤ – ٣٥ – ٣٦ .

يـــا قبـــر كيـــف ألفتـــه ودعوتـــه ∴ وأخذتـــــه وجعلتـــــه حشـــو الثـــرَا
يا قبر كيف ضَمَمْتَ أعظـم ماجـدٍ ∴ فلتـــأْتَنِس قـــد صـــار ليلـــك أنـــورَا
أين الذين بنوا القصـورَ وعمَّـرُوا ∴ أيـــن الـــذين علـــوا المقـــام الأكبـــرَا
أيـــن الـــذين تحزَّبُـــوا وتملَّكُـــوا ∴ وبحـــزمهم جعلـــوا الأبـــاطح أنهـــرَا
أيـــن الـــذين تحكَّمُـــوا وتجبَّـــرُوا ∴ هـــل واحـــدٌ غلـــب الحِمَـــام فعمَّـــرَا
يا عينُ سِـحِّي لا تضِـنِّي بالبكـا ∴ يـــا عـــين فلتبـــكِ العقيـــق الأحمـــرا
فالمذهب الحنفـي أمسـى خاليًـا ∴ ينعـــى فـــراق رجالـــه متحســـرَا
رحلتْ هداةُ العلـم يتلـو بعضـهم ∴ بعضًـــا كـــأن لهـــم عهـــودًا لا تُـــرى
سبق الجميع ملاذنا الأسيوطي مَـنْ ∴ مَرَّتْ بفضـــل علومـــه زمـــر الـــورى
وتـــلاه ذا الأفضـــالِ بكـــري العـــلا ∴ وتـــلاه عبـــد العـــال شـــيخًا أكبـــرَا
ومحمد الضـمراني أعقـبهم كـذا ∴ أخذ المتـــون القاضـــي بـــدرًا أنـــورَا
يـــا غـــافلاً إن الحيـــاة ذميمـــةٌ ∴ فانهض إلـــى بـــاب الغنـــي مســـتغفرًا
واخلع عذارك عن سـعادَ وزينـبٍ ∴ وفـــي حقـــوق الله تبلـــغ مـــا تـــرى
يرجوك عبدُك " ثابـتٌ " يـا ربنـا ∴ تمحو له كـلَّ الـذنوب ومـا جـرى
ولوالديـــه وأهلـــه وشـــيوخه ∴ وكـــذاك مـــن منـــه الفـــؤاد تَسَـــعَّرَا
ثم الصـلاة مـع السـلام تفضـلاً ∴ نحـــو الشـــفيع محمـــدٍ خيـــر الـــورى
ولآلـــه ولصـــحبه ولتـــابعٍ ∴ مـــن منهمـــوا حُكْـــمَ الكـــلام تصـــدَّرَا

فأنت تراه قد استهل قصيدته هذه برثاء الشيخ " أبو أحمد خليفة الجرجاوي " ثم انطلق من خلال هذا الرثاء – إلى وصف ما حلَّ بالجمادات والحيوانات بسبب فقده، ثم أسبغ عليه من صفات الفضل والإحسان، وعلو الهمة، والعلـم الغزيـر يظهر ذلك في قوله:

هو عالمٌ من عـــالم مـــن فاضـــلٍ ∴ هو نخبة الفضـــلاء أصـــحاب الســـرَا

كما يظهر التنوع العاطفي – حيث يمزج الرثاء بالمدح إذ إن المرثي كـــان مدَّاحًا لسيد البرية محمد – صلى الله عليه وسلم – يعبد الله فـــي جـــوف الليـــل مسبحًا ومهللاً ومكبِّرًا، وعلى هذه الشاكلة يمضي الشاعر في قصـــيدته متنـــوع العاطفة بين الرثاء والمدح، الأمر الذي يدل على قوة شاعريته، وإجادته تصريف القول حسبما يقتضيه المقام .

ويواصل الشيخ ثابت إبراز عاطفته المتنوعة، فنراه يتضـــرع إلـــى الله أن يغفر له، ولوالديه، ولأهله، وشيوخه، ولجميع المسلمين كل ذنوبهم تفضُّلاً وتكرمًا منه سبحانه فيقول:

يرجوك عبدُك " ثابتٌ " يـــا ربنـــا تمحو له كـــلَّ الـــذنوب ومـــا جـــرى

وكذلك نرى الحكمة تأتي – من حين لآخر – في ثنايا القصيدة للتدليل على أن الموت لا فرار منه، وأن الموت سيلحق الجميع طالـــت حيـــاتهم أم قصـــرت، وكذلك نراه يختم قصيدة بالصلاة والسلام على سيد الخلق محمد وآله وصـــحابته وتابعيه ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبذلك يتضح لنا أن عاطفة شاعرنا تنوعت حسب الغرض الذي كان الشاعر بصدد النظر فيه، الأمر الذي يدل على قوة شاعريته، وإحساسه المرهـــف الـــذي شمل الناس والحياة.

٤- سمو العاطفة:

هذا المقياس أثار خلافًا بين النقاد – كما يقول د / أحمد الشـــايب " فهـــو يشير أولاً إلى أن هناك عواطف سامية وأخرى وضيعة " [١].

ولكن النقاد متفقون على تفاوت العواطف في الدرجة فبعضها أســـمى مـــن الآخر، ويرجع هذا التفاوت للعواطف ما بين الســـمو، والضـــعة، إلـــى التفـــاوت

(١) أصول النقد الأدبي – د / أحمد الشايب ص ٢٠٣ .

والفارق بين الإثارة النفسية تجاه جمال الأسلوب من صفاء العبارة، وجمال الوزن، وروعة الخيال، وبين الإعجاب بالمعاني القويمة، والمضامين النبيلة فالثاني من ذلك أسمى وأرقى من الأول " فلا يتساوى في هذا الإطار الأدب الذي يثير في النفوس كل معاني التسامي والطموح، والجد في الحياة مع الأدب الذي يغرس فيها بذور التشاؤم، واليأس، والتدني، والخمول، أو الذي يصور الرذائل، واللذات الحسية تصويرًا خلابًا، جذَّابًا، تتخاذل في النفوس أمام سلطان إغرائه، فلا تملك إلا أن تتنافس فيه، وتتهافت عليه " (١) .

ولذلك فإن العواطف التي تثيرها المعاني أشرف، وأسمى من التي تثيرها المحسنات البديعية، والصناعة اللفظية، فالنوع الأول ناشئ عن عاطفة سقيمة قاصرة.

وعليه " فالعواطف المعنوية أسمى من العواطف الحسية؛ إذ تتناول الحق، والفضائل، والأعمال المجيدة في كل ما يقوي صلتنا بالحياة، فالأدب الذي يشيد بالبطولة، ويبعث الوطنية، والإنصاف، والإيثار، أنبل من الأدب الذي يعني بالجمال الحسي، لذلك يكون جميل في غزله، أسمى من أبي نواس في عبثه " (٢)، وذاك لأن الانفعال الناشئ من الحواس الظاهرة يترك في الخيال ،والذاكرة لذة حسية لا يتعداها، ولا يصل في نبله، وسموه إلى آخر يتجاوز هذا الإيحاء إلى معانٍ يتركها في نفس المتلقي، فلهذا الأخير انفعال أسمى يُنتِج عواطف روحية أنبل وأسمى.

وتبعًا لذلك فشعر الشيخ ثابت فرج الجرجاوي – في كثير منه – يدعو إلى السمو والرقي والنبل بكل سبيل، ولا غرابة أن يجد المتذوق أن العاطفة الغالبة المسيطرة لدى شاعرنا كانت العاطفة السامية النبيلة التي تنبعث من وجدان شاعر مسلم، حافظ للقرآن، ولين الطباع، مرهف الحس، سامي المقصد والغاية.

---

(١) في النقد الأدبي – د / عبد العزيز عتيق ص ١١٥ .

(٢) أصول النقد الأدبي – د / أحمد الشايب ص ٢٠٥ .

وقد جاء السمو العاطفي في شعره تبعًا لتنوع مقومات فنية النصوص الشعرية، ونوعيات المعاني والمضامين، فلم يكن هذا السمو موقوفًا في إطار، أو اتجاه شعوري بعينه، فهناك السمو الإيماني، والقومي، والإنساني ... إلخ.

ومن ذلك قوله [١]: (من الوافر)

تبارك مَنْ تعالى في علاه ∴ يقول لعبده اطلبني تجدني

أنا الحنان أرزق كلّ حيٍّ ∴ أنا القهار فاطلبني تجدني

أنا الرب الرؤوف بكل خلقي ∴ أنا الموجود فاطلبني تجدني

أنا الله الصبور على عبادي ∴ أنا القدوس فاطلبني تجدني

أنا الله السميع لمن دعاني ∴ أجيب العبد فاطلبني تجدني

حيث يتضح سمو العاطفة في مثل هذه النوعية من النماذج، التي توضح الحالة الإيمانية لمنشئها، ثم أثره وفاعليته على المتلقي بكل ما فيها من معانٍ إيمانية ودينية تجمع بين السمو الإيماني والنبل والشرف ما لا يخفى على أحد.

ومن هذا السمو الإيماني – أيضًا – قصيدته في مدح خير البرية يقول:[٢]: (من الكامل)

كتب الحبيب على شكاية لوعتي ∴ سطرًا يؤجل في الغرام قضيتي

أجلي أعاني فيه مرَّ تصبُّري ∴ ويُقطِّعُ الأحشاء يذهب مهجتي

ويُقيمني غسق الليالي ساهرًا ∴ لأرى خيالاً من صفات أحبتي

ويفيض من دمعي ويَظهرُ ما انطوى ∴ طيّ الفؤاد وما حوته سريرتي

ويسير بي بين البوادي والرُّبا ∴ لأبلغ العشاق وحي صبابتي

---

(١) ديوان ثابت الثاني ص ٥ .

(٢) ديوان ثابت الثاني ص ١٢ – ١٣ .

فأنـــا رســـول المغـــرمين مؤيـــد ∴ بنيت على مهج القلـــوب شـــريعتي
لكن وحقـــك مـــا التغـــزل مقصـــدي ∴ بل وجهتي الهادي الشفيع ذخيرتـــي

فسمو العاطفة في هذه القصيدة وأمثالها مرجعه إلى مـــا يحملـــه المبـــدع، ويكنه في صدره من محبة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو يتغزل فـــي سيد البرية غزلاً اتخذه وسيلة للتعبير عن أفكاره ومشاعره، واتخـــذه – كـــذلك – رمزًا لعاطفته ومواجده، ولذلك انتقل من الغزل الرمزي إلى شعر المديح النبـــوي في سمو عاطفي يعكس لنا خلفية الشاعر الدينية .

ومن مظاهر سمو العاطفة ما نراه في شعر شاعرنا من رواج كبير لشريحة سامية من الأشعار الإنسانية التي تناولت حالات كثيـــرة مـــن الآلام، والأوجـــاع، والحزن والآمال على مستوى الأمة الإسلامية، أو على مستوى المجتمع الإنساني عمومًا، فعلى مستوى الأمة الإسلامية كثيرًا مـــا هتـــف قلبـــه بصـــنوف الألـــم، والمعاناة، والتوجع، والتحسر على ما أصاب المسلمين من تفرق، وضعف، فقـــال واصفًا حال المسلمين، وما هم عليه من تفرق الكلمة [1]: (من الكامل)

المسلمون على البسيطة نُـــوَّمٌ ∴ فـــي ملعـــب الإغـــواء والإغـــراء
فُتِنوا بزخرفة المقال فأصـــبحوا ∴ متلـــــذذين بِخُمْـــــرة الإطـــــراء
المســـلمون تحزبـــوا فتفرقـــت ∴ كلمـــاتهم فـــي ســـائر الأرجـــاء
المسلمون دُعُوا فما لبُّـــوا النـــدا ∴ وتقاعـــدوا عـــن خطبـــة العليـــاء
ضـــنُّوا بـــأموالٍ وأرواحٍ ومـــا ∴ نصـــروا المهـــيمن مُبـــدع الأشـــياء
المسلمين تأخروا عن كـــلِّ مـــا ∴ يرضـــي الضـــمير بخدعـــة وريـــاء
أدرِك إلهـــي الـــدين إنَّ دعاتـــه ∴ تركـــوه بـــين مخالـــب الأعـــداء

(١) ديوان ثابت (في سبيل الوطن وحماته) ص ٣١ – ٣٢ .

المسلمون المخلصـــون فـــؤادهم ∴ يغلـــي أسًـــى مـــن هـــذه الأرزاء [1]

أين المروءة والشهامة والوفـــا ∴ جـــلَّ المصـــاب وحـــلَّ بالأعضـــاء

أين الحميةُ والخطـــوب تزايـــدت ∴ وتســـعرت مـــن هولهـــا أحشـــاء

يا رب أنت ولا ســـواك يجيرنـــا ∴ ممـــا نـــرى مـــن كربـــة وبـــلاء

فهذا الحزن الوجداني القاتم الذي خيَّم على الشاعر، وسيطر عليه، وانغمس فيه، مرجعه وأساسه إلى الحال العام الذي أصـــاب المســـلمين، فالنـــاظر لحـــال المسلمين يصيبه ما أصاب الشاعر من أسى وألم وحسرة لما وصل إليه المسلمون من تفرق، وذل، وتأخر، والسبب في ذلك بعدهم عن الدين، وتفرقهم إلى أحـــزاب شتى، لذلك نرى الشاعر يضرع إلى ربه أن يدرك الأمة حتى لا تقع فريسة بـــين مخالب الأعداء، وينعى في المسلمين صفات النبل، والشـــهامة، والوفـــاء، فهـــذا الصدور الوجداني العمومي، والجماعي في التحسر، والأسى، والحزن، هو أبـــرز وأهم محاور سمو، ونبل، وصدق العواطف الإنسانية .

تلك كانت أهم وأبرز وأعم صفات وخصائص الجانب العاطفي عند شـــاعرنا الشيخ ثابت فرج الجرجاوي .

(١) المرزءةُ والرزيَّة: المصيبة، والجمع أرزاء ورزايا . اللسان مادة رزأ : ٥/٢٠٠.

المبحث الثاني

الوجدان

الوجدان مصدر " وَجَدَ " ووجدان المرء هو نفسه، وقواه الباطنية فهو مجموعة من الأحاسيس، والانفعالات، والعواطف، والاتجاهات، والميولات التي يتفاعل معها أو يتأثر بها، وهو " موطن كل العواطف والرغبات، والأحاسيس بالسعادة، أو بالحزن، أو بالأمل، أو باليأس " (١) .

والوجدان – في علم النفس – " جملة الظواهر الانفعالية لدى الإنسان كالحب، والبغض، واللذة، والألم، ويقابل الفكر والنزوع، وإلى هذه الثلاثة ترجع الظواهر النفسية كلها " (٢)، وهو – في الفلسفة – " يطلق أولاً على كل إحساس أولي اللذة، أو الألم، وثانيًا على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة، أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة " (٣)، كذلك " فهو الناحية الحساسة في النفس، وهو موطن السرور، والألم، فكل آمالنا، وآلامنا، ومسراتنا وأحزاننا مرجعها الوجدان " (٤)، وهو " في الأدب الإحساس الداخلي لإدراك قيمة العمل الأدبي " (٥) .

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة – د / أحمد مختار عمر ٢٤٠٣/٣ – عالم الكتب – الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

(٢) المعجم الوجيز – إعداد مجمع اللغة العربية المصري ص ٦٦٠ – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم القاهرة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .

(٣) المعجم الوسيط – إعداد مجمع اللغة العربية المصري ١٠٥٥/٢ – القاهرة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م .

(٤) في النقد الأدبي د / عبد العزيز عتيق ص ٩٨ .

(٥) المعجم المفصل في الأدب – د / محمد التونجي ٨٨٠/٢ – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .

مما سبق نخلص إلى أن الشعر الوجداني هو الشعر الغنائي القائم على الحسّ الشخصي المُعبِّر عن العواطف الخالصة في مجالاتها المختلفة، والتصوير النفسيِّ الصادق لمشاعر الفرح، والحزن، والحب، والبغض، وما إلى ذلك من المشاعر الإنسانية.

ومن أبرز هذه المظاهر الوجدانية في شعر شاعرنا موضوع الدراسة ما يلي :

١- ارتباط الوجدان بين الماضي والحاضر:

كثير من المظاهر الوجدانية التي يثيرها شاعرنا في شعره، تذكرنا بوجدان معين من شأنه إثارة وجدان، أو أكثر، مثله، أو ضده، فحينما يشرع في تناول أي شيء من الماضي الجميل السار فهذا من شأنه إما أن ينسينا الحاضر المؤلم، ويجعل الشاعر يعيش مع ماضيه الجميل، أو أن يتجه فكره مع شعوره اتجاهًا آخر، فيقارن بين الماضي السار الجميل، والحاضر المؤلم، وقد يكون هذا الماضي – في بعض الأحيان – ماضيًا مؤلمًا فتذكُّره يكون مدعاة لإثارة وجدان مؤلم متجدد، ولذلك فإن " تذكر تجارب الماضي السار تثير فينا وجدانًا مثله، أي تكون مدعاة لسرورنا إذا كان هناك أمل – على الأقل – في تكرار تلك التجارب السارة، وتذكر الماضي المؤلم يكون – كذلك – مدعاة لآلامنا إذا صحب التذكر توهم تكرار التجارب المؤلمة " [١].

ومن نماذج ذلك– مثلا– قول الشيخ الجرجاوي في شهر رمضان [٢]: (من الكامل)

رمضان أقبل رافعًا أعلامه ∴ وله بوجه الصائمين علامه

فيه عظات للنفوس ومعقلٌ ∴ ومن التعدِّي أن تخلَّ نظامه

فيه المساجد بالكواكب أشرقت ∴ والعلم يشرح للملا أحكامه

---

(١) في النقد الأدبي د / عبد العزيز عتيق ص ٩٤ .

(٢) ديوان ثابت (في سبيل الوطن وحماته) ص ٧٠ – ٧١ .

كم من مريض معدم طاوي الحشا ∴ يـــأتي الغـــروب ومـــا أزال صـــيامه

فاعطف عليه وكن رحيمًا مشفقًا ∴ حتـــى تُخفـــف بالعطـــا آلامـــه

واخلع رداء اللهو واعمل مخلصًا ∴ وارفع عـــن القلـــب الطهـــور ظلامـــه

ومن ذلك – أيضًا – قوله في شهر شعبان [1]: (من الوافر)

أتـــى شـــعبان بـــالخير العمـــيم ∴ فقـــم يـــا صـــاح واســـتجدي الكـــريم

وقف سحرًا على بـــاب العطايـــا ∴ ونـــاجي مثـــل مـــا نـــاجى الكلـــيم

وقل يـــا رب جئتـــك مســـتجيرًا ∴ مـــن الأهـــوال واليـــوم العظـــيم

فكم لـــك يـــا إلهـــي مـــن أيـــادٍ ∴ مـــن النعمـــاء والســـتر المقـــيم

وهـــذي ليلـــة ســـمحت بوصـــلٍ ∴ ورق الجـــوُّ فيهـــا والنســـيم

وفيها يثبـــت المـــولى ويمحـــو ∴ أمـــورًا حكمـــه فيهـــا قـــديم

فَمُـــنَّ علـــى عبـــادك بـــالتجَلِّي ∴ وســـر بهمـــو إلـــى الـــنهج القـــويم

فأنـــت غياثنـــا إنْ حـــلَّ رزء ∴ ومنقـــذنا مـــن الخطـــب الجســـيم

ففي شعبان منك الجـــود يهمـــي ∴ كمـــا تهمـــي الســـماء علـــى الأديـــم

فلا تحرم مـــن العليـــا جمـــوعي ∴ وبلغهـــم مُنـــاهم يـــا كـــريم

فهذين النموذجين السابقين وأشباههما تنبعث، وتنتج عن تـذكر وجـدان، أو أكثر من الماضي السعيد الجميل السار بما يبعث في النفس وجـدانًا، أو أكثـر لذلك المتذكر، مما يكون دافعًا، ومحركًا للشاعر على القول في أجـواء وجدانيـة مشابهة، أو مماثلة، ومعطيات شعورية متوافقة مع الوجدانات السابقة.

(١) ديوان ثابت (في سبيل الوطن وحماته) ص ١٢٩ – ١٣٠ .

٢- امتداد مظاهر الوجدان:

من المظاهر والملامح الوجدانية في شعر الشيخ ثابت فرج الجرجاوي - كذلك - امتداد مظاهر الوجدان، ويعني به انتقال مظاهر الوجدان بكل أبعاده ومعطياته من السرور، والأمل، أو الحزن، والألم بكل معانيهما، ومؤثراتهما من المبدع صاحب الإحساس المتوهج بالحالة الشعورية، المفعم بشتى معطياتها إلى غيره من المتلقين من حوله، وكذلك إلى غيره من عناصر، ومكونات البيئة الطبيعية المحيطة به، ويرجع اعتماد ذلك كله إلى التخييل، ومن ذلك قوله مهنئًا بعيد الفطر المبارك في لوحة شعرية رائعة جعل فيها كل من حوله يشاركه احتفاله [١]: (من الكامل)

روض زها تحت العيون النرجس ∴ أم بنت كَـرْمٍ قد صفت بالأكؤس

أم بنت حورٍ قد سَهَا عن حفظها ∴ رضوان جاءت في ملابس سندس[٢]

أم ظبية نظرت فخار جميعنا ∴ في وصفها بالبدر أو بالأشمس

أم فتنة جاءت لعبد ناسك ∴ فخطابها يجلي صداء الأنفس

فالمسك في الأرجاء من نفحاتها ∴ والشهد في الآنات من ذي الألعس[٣]

ترنو فتزري بالغصون وضوءها ∴ إشراقة تحت الظلام الحندس[٤]

قسمًا بعيد الفطر وهو سرورنا ∴ لأنادين على صفاء المجلس

---

(١) ديوان ثابت - للشيخ ثابت الأزهري الجرجاوي ص ٤٥ - طبع بالمطبعة الخديوية بالموسكي بالسبع قاعات.

(٢) السندس: رقيق الديباج ورفيعه . اللسان مادة سندس ٣٩٠/٦ .

(٣) اللَّعَسُ: سواد اللثة والشفة، وقيل: اللعسُ واللُّعْثةُ سواد يعلو شفة المرأة البيضاء . اللسان مادة لعس ٢٨٩/١٢ .

(٤) الحندس: الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. اللسان مادة حندس ٣٥٦/٣.

يا ولداي إن الصـفا لقـد وفـا ∴ فاهنـأ ودُم فـي عـزةٍ مـع مـؤنس

فلكـل عـام أنتمـوا وبنوكمـوا ∴ تحظوا بما حفظـت عيـون الحُـرَّسِ

فكل ما حشده الشاعر من مكونات من رياض، وخمر، وحور عين عيونهـا مثل عيون الظباء، والعبد الناسك، والمسك، وولديه؛ كل ما خلعه الشاعر على تلك المكونات والعناصر الطبيعية ما بين القاصي والداني من مشاعر البهجة، والفرح، والنشوة، وملامح التلذذ مبعثه الأساس هو وجدانه المغمـور بتلـك المشـاعر، والمعاني، والأحاسيس التي طغت على وجدانه، وملكت عليه أمره، فراح وجدانه – عن طريق التخيل – يخلعها على كل تلك العناصر الطبيعية المنتقـاة بعنايـة، وهذه العملية التخييلية ما هي إلا امتداد، وانتقال للوجدان من الشاعر إلى كل من حوله من عناصر.

ونحوه – قوله – في ذكرى المولد النبوي [1] : (من مجزوء الرمل)

أنفـس الـروح نسـيم ∴ مـن ريـاض الياسـمين

وحمـام الأيـك غنَّـى ∴ بحنـين وأنـين

فبـدا القلـب طروبًـا ∴ فـي مجـال الهـائمين

جـدَّدَ الأشـجان عنـدي ∴ وأذاب العاشـقين

أسـندوه لغـزال ∴ حـاز حسـن المتـرفين

حـارب الأُسـد بنبـل ∴ قوسُـهُ نـور الجبـين

وقـوام واعتـدال ∴ وحـديث فيـه لـين

أمـه قـد وضـعته ∴ فأنـار العـالمين

(١) ديوان حفلات ثاب – تأليف الشيخ / ثابت فرج الجرجاوي ص ٥ – ٦ – الـرقم الخـاص ١٥٦٣٤ ز .

جنـــــد ربـــــى حَضَـــــروها ∴ بـــــــين أهـــــــل فـــــــرحين

جـــــده بالبيـــــت طـــــافَ ∴ حـــــــاملاً خيـــــــر البنـــــــين

أطعـــــم الفقـــــرا جـــــزورًا ∴ وأعـــــــــان البائســـــــــين

وبـــــه العُـــــرب اســـــتنارت ∴ بعـــــــــد آلاف الســـــــــنين

فهذا النموذج – أيضًا – يمتد وينتقل فيه الوجدان من الشاعر إلى مَنْ حوله من عناصر طبيعية، ومكونات بيئية عن طريق التخييل، هذه المكونـــات انتقاهـــا الشاعر بعناية مَنْ يرتبط وجدانه بمكونات هذه الطبيعة التي يستطيع معهـــا نقـــل وجدانه إليها من خلال التشخيص، والتجسيم لتُحِسَّ بما يُحِسن، وتشعر بما يشعر.

٣- الوجدان بين المثير الطبيعي والصناعي:

المثير الطبيعي هو الشيء الحقيقي الذي يبعث على قول الشعر فيـــه كـــل الذوات، والأمور، والأحوال – الحسية منها والمعنوية – المحيطة بالشاعر، أمـــا المثير الصناعي فهو التابع الملحق، والمتعلق بالمثير الطبيعي تعلقًا شديدًا يـــذكر معه، وتهيج معه العواطف والمشاعر، والأحاسيس، وقد جاء ذلـــك فـــي شـــعر الجرجاوي في العديد من تجاربه الشعرية التـــي تتعلـــق بالقصـــيد فـــي المعـــالم الإسلامية المقدسة، كمكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقدس الشريف، وغيرها من الرموز والأماكن التي لها قداستها في نفس شاعرنا إذ إنه عندما يستثار عبر المعلم، والمكان، بأحداث، أو مواقف، أو أشياء معينه تبعثه على القريض، وتبرز، وتظهر في شعره بناء على ما أثاره المثير الصناعي – وهو المعلم – في نفســـه، وعاطفته، ووجدانه، فيأتي قريضه لها على خلفية هذا المكان، من ذلك قوله فـــي أرض الحجاز [١]: (من الوافر)

إلى أرض الحجاز بعثت روحـــي ∴ تشـــمُّ عبيـــر تُـــرْب الســـائرينا

(١) ديوان ثابت ص ٦٧ .

وتنظر في ربـــوع الكـــون طُـــرًّا ∴ لتنظـــــر نـــــور جمـــــع الزائرينـــــا

لقبـــر محمـــد خيـــر البرايـــا ∴ رســـــول الله منجـــــي المـــــذنبينا

فالشاعر عندما تذكر أرض الحجاز هاجت مشاعره، وثـــار وجدانـــه تجـــاه ربوعها هيجانًا، وثورة ما لبث أن كشف عن بواعثهما، وأبعادهمـــا عبـــر هـــذه المقطوعة، وهو تعلقه، وحبه لرسول الله – صلى الله عليـــه وســـلم – وحنينـــه الجارف لزيارة قبره، فما كان لهذه المدينة أن تتبوأ هذه المكانة، وتلك المنزلة في نفسه لولا أن بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فذكره لهذا المكان هو مـــا أثار وجدانه، وهيج مشاعره، وذلك لارتباط المكان في وجدانه بشخصية الرسول الكريم ارتباطًا وثيقًا.

كانت تلك أبرز، وأهم سمات العاطفة، والوجدان في شعر الشيخ ثابت فرج الجرجاوي موضوع الدراسة، وما اتسمت به عاطفته من صدق وقـــوة، وثبـــات واستمرار، وتنوع، وسمو، وكل ذلك يتعلق – في الأساس – بالشعور الإنســـاني، والوجدان الذي هو نوع من الشعور، والعاطفة التي هي أحد أشكال ذلك الوجدان.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فلقد انتهيت – بعون الله وتوفيقه – من إعداد هذا البحث، والذي كان بعنوان " العاطفة والوجدان في شعر ثابت فرج الجرجاوي " وبعد هذه الدراسة يطيب لي أن أسجل هنا ما انتهت إليه الدراسة فيما يلي:

– أن العاطفة عنصر مهم من عناصر العمل الأدبي، وأن الشعر بدون عاطفة لا يعد شعرًا، وإنما يكون كلمات متراصة لا تمثل إلا شيئًا جامدًا لا يحرك المشاعر،، ولا يثير الوجدان.

– كشفت الدراسة أن شعر الجرجاوي توفر – في معظمه – صدق العاطفة وقوتها، وقد ظهر هذا الصدق، وتلك القوة في شعره المتعلق بالدين والعقيدة، وما يتعلق بالقضايا المعاصرة للأمة الإسلامية.

– كما ظهر لنا من خلال الدراسة ثبات عاطفة الشاعر واستمرار سلطانها وعدم ذهاب حرارتها في أغلب شعره .

– تنوُّع العاطفة – في القليل من شعره – تنوعًا جعله يُصَرِّف القول في القصيدة تبعًا لتنوع طبيعة الموضوع.

– أن شعر ثابت – في الكثير منه – يدعو إلى السمو، والرقي، والنبل العاطفي لاسيما أنه ينبعث من وجدان شاعر مسلم، لين الطباع، سامي المقصد والغاية.

– بروز الوجدان عند الشاعر متمثلاً في بروز ذات الشاعر، وعواطفه، وانفعالاته، وإظهار ما ينتابها من مواقف خاصة من الحياة والطبيعة.

تلك كانت أهم نتائج البحث، والله أسأل أن يكون عملاً متقبلاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

- أصول النقد الأدبي – د / أحمد الشايب – طبعة مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٧٣ م .
- أضواء الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد المسمى تعطير النواحي والأرجاء بذكر من اشتهر من أعيان جرجا – تأليف/ محمد بن محمد بن حامد المراغي الجرجاوي – تحقيق ودراسة د / أحمد حسين النمكي – مكتبة الرياح بجرجا سنة ٢٠٠٣ م .
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين – تأليف/ خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشرة مايو ٢٠٠٢ م .
- تاريخ النقد الأدبي عند العرب – أ/ أحمد طه إبراهيم – مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٧ م .
- ديوان ثابت – ثابت فرج الجرجاوي – طبع المطبعة الخديوية بالموسكي بالسبع قاعات ١٣٢٣ هـ .
- ديوان ثابت في سبيل الوطن وحماته – ثابت فرج الجرجاوي – مطبعة الهواري بشارع محمد علي ١٩٣٧م – موجود بدار الكتب تحت رقم١١٦٠١ ز .
- ديوان ثانٍ لثابت– ثابت فرج الجرجاوي– بدون ذكر المطبعة ١٣٣٠ هـ.
- ديوان حفلات ثابت " مخطوط " ثابت فرج الجرجاوي موجود بدار الكتب تحت رقم ١٥٦٣٤ ز .
- العاطفة وأثرها في تشكيل لغة الشعر – بحث للدكتور/ حسن أبو المجد محمد – منشور في مجلة كلية اللغة العربية بجرجا – العدد التاسع ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .
- في محيط النقد الأدبي– د/ إبراهيم علي أبو الخشب– طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ م .

- في النقد الأدبي – د / عبد العزيز عتيق – دار نهضة مصر – بيروت ١٣٩١ هـ – ١٩٧٢ م .
- في النقد الأدبي – د / عبد العزيز عتيق – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ – ١٩٧٢ م .
- لسان العرب لابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .
- مجلة صوت الأزهر – ثابت فرج الجرجاوي حياته وشعره – د / أحمد النمكي – عدد ربيع ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .
- معجم البلدان – للشيخ/ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي – دار صادر بيروت ١٩٩٥ م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة – أ . د / أحمد مختار عمر – عالم الكتب – الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
- المعجم المفصل في الأدب – د / محمد التونجي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
- المعجم الوجيز – عداد/ مجمع اللغة العربية المصري – طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم – القاهرة ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
- المعجم الوسيط – إعداد / مجمع اللغة العربية – القاهرة ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .
- النقد الأدبي عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري – د / محمد طاهر درويش – طبعة دار المعارف – القاهرة ١٩٧٩ م .
-النقد الأدبي الحديث ومذاهبه – د / محمد عبد المنعم خفاجي – طبعة مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ١٩٧٥ م .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٥٣٧
٢-	Abstract	٥٣٨
٣-	تمهيد: التعريف بالشاعر ثابت فرج الجرجاوي	٥٣٩
٤-	أهمية العاطفة والوجدان في العمل الأدبي	٥٤٢
٥-	المبحث الأول: العاطفة	٥٤٣
٦-	صدق العاطفة وقوتها	٥٤٤
٧-	ثبات العاطفة واستمرارها	٥٤٨
٨-	تنوع العاطفة	٥٥١
٩-	سمو العاطفة	٥٥٤
١٠-	المبحث الثاني: الوجدان	٥٥٩
١١-	ارتباط الوجدان بين الماضي والحاضر	٥٦٠
١٢-	امتداد مظاهر الوجدان	٥٦٢
١٣-	الوجدان بين المثير الطبيعي والصناعي	٥٦٤
١٤-	الخاتمة	٥٦٦
١٥-	المصادر والمراجع	٥٦٧
١٦-	فهرس الموضوعات	٥٦٩